

ج ٦

لمؤدّة سيدتنا بنت باب الحوائج صلوات الله عليه و عليها, أعني كريمة آل عليّ صلوات الله عليهم فاطمة المعصومة. نُوروا المجلس بالصلاة على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد. و ثانيةً لمؤدّة الزهراء المحزونة و آلهَا المظلومين عَبَّووا المجلس طيباً بالصلاة على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد. و ثالثةً لتعجيل فرج إمام زماننا صلوات الله عليه و هذه الليلة ليلتُهُ , ليلة الجمعة , لتعجيل فرجه الشريف ولذِكره الأقدس صلوات الله عليه أفعموا المجلس أريجاً و عطراً بالصلاة على مُحَمَّد و آل مُحَمَّد.

يا زهراء

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم العنّ أول ظالم ظلم حقَّ مُحَمَّد و آل مُحَمَّد و آخر تابع له على ذلك , اللهم العنّ العصاة التي جاهدت الحُسين و شايعت و بايعت و تابعت على قتله , اللهم العنّهم جميعاً .

أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه و لك قبلي تبعه أو ذنبٌ تُعدّبي عليه.

الحمد لله الذي أخرجنا من حدود البهيمية إلى حدّ الإنسانية بولاية عليّ و آل علي , و الصلاة على سيدنا و نبينا , شفيع ذنوبنا , و غاية آمالنا في الدنيا و الآخرة , و ملجأنا إذا اشتدّت الملمات , و باب فرجنا إذا ما تراكمت الكربات , حبيب القلوب و طيب العيوب , من هدانا من الضلالة و أخرجنا من حيرة الجهالة , خاتم الأنبياء و المرسلين , أبي القاسم مُحَمَّد و آله الطيبين الطاهرين . و اللعنة الدائمة على أعدائهم و أعداء شيعتهم إلى يوم الدين .

لا زال الكلام في بيان معنى الدعاء الشريف (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن, صلواتك عليه وعلى آبائه) إلى آخر الدعاء, و الذي شرعنا فيه من أول مجالسنا في هذا الشهر الشريف نزولاً عند رغبة بعض إخواننا من المؤمنين. و في ليلة البارحة وصل بنا الكلام بعد أن استنتجنا أنه لا يمكن أن نفهم الدعاء الشريف على أساس الفهم الساذج كما لو كانت هذه الألفاظ موجودة في دعاء يُدعى به لأمثالنا , فإذا لا بد أن نبحت عن مدلول أعمق و هنا كما بيّنتُ في ليلة البارحة إمّا أن نبحت عن حقيقة حقيقة معنى هذا الدعاء و كما اتّضح لك في المجلس الماضي أن الباب مسدودٌ في ذلك , فلا نحنُ نعرفُ العُلقة بين الإمام و بين الله و الباب في هذا مسدود , و لا نحنُ نعرفُ كُنه ذات الإمام و الباب في ذلك مسدود كما بيّنتُ لك ذلك في ليلة البارحة بالنصوص الشريفة , و لا نحنُ نعرف مقدار العطاء النازل من الله إلى الإمام بل لسنا من الذين نعرف شيئاً من شؤوناته و لا حقيقة فضيلة واحدة من فضائله صلوات الله عليه فالباب مسدود و أطفئ السراج فقد طلع الصبح .

و إمّا أن تكون دراستنا على أساس مقدار معرفتنا , على قدرنا لا على قدره صلوات الله عليه , و حتى هذا على قدرنا وفقاً لما جاء من كلماتهم صلوات الله عليهم أجمعين و وفقاً لمقاييسهم لا لمقاييسنا العقلية لأنّ أهل البيت ما كلّمونا على قدر عقولهم كما قالوا هم , أنهم ما كلّموا الناس على قدر عقولهم الشريفة قط و إمّا كلّموا الناس على قدر عقولهم القاصرة , كلّمونا على قدر عقولنا , و حينئذٍ لو أردنا أن نلج في هذا الباب فكما قلت لك في ليلة البارحة هناك دراستان , دراسة للدعاء على أساس فلسفة الابتلاء و بيّنتها لك في ليلة البارحة , و دراسة ثانية على أساس النظام الذي نُظمت به أدعية أهل البيت و هذا لا اعتقد أنّي أتمكّن في هذه الليلة من بيانه فتكلّم إلى الليلة القادمة و إلى الليالي الآتية إن شاء الله , لكن

ج ٦

وصل بنا الكلام في ليلة البارحة أننا نفهم الدعاء على أساس فلسفة الابتلاء و كما بيّنتُ لك بشكل مُجمل أبعاد هذه الفلسفة في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين و اتّضح لك المعنى و أنّ الدعاء إنّما هو للشيعّة لا للإمام و أنّ الحِفظ في هذا الدعاء إنّما هو للشيعّة , و أنّ النُصرة في هذا الدعاء إنّما هو للشيعّة كما بيّنتُ لك . و الآن أُبيّنه بشكل أكثر تفصيلاً من ليلة البارحة باعتبار أنّ هذا الكلام كان في آخر المجلس و كُنّا في الدقائق الأخيرة من المجلس , لكن اتّضحت عندك الصورة من مرادي , أننا نفهم الدعاء على أساس فلسفة الابتلاء في روايات أهل بيت العصمة و بيّنتُ لك المقصود من ذلك , فيكون معنى الدعاء بالجملة هكذا (اللهم كُن لَوَلِيَّكَ الْحُجَّةَ بن الحسن) إنّما جاء اسمُ الإمام عنواناً هنا , و جاء اسمُ الإمام باباً يُنسب إليه هذا المعنى كما قُلتُ لك في الآية الشريفة (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ) نُسِبَ إليه ذنوبُ شيعة عليّ صلوات الله عليه و إلا ما عنده من ذنب , أنا و أنت الذي عندنا ذنوب مُتقدّمة و ذنوب مُتأخّرة فنرفعُ أيدينا بالدعاء (اللهم اغفر لنا ما تقدّم من ذنوبنا و ما تأخّر) أما الذنوب هنا نُسِبَتْ و سآتي على بيانها أيضاً , أو كما وردَ عندنا إذا أردنا أن نُهدي عملاً من الأعمال أن نُهديه أولاً إلى المعصوم , بعد ذلك نُهدي ثوابَ ذلك العمل إلى مَنْ نريد , إلى مَنْ نشاء ليكون الثوابُ مُضاعفاً , القرآن هو الذي يأمرنا (اقرأ باسم ربّك) القراءة كلّها , القراءة الكونية و القراءة الشرعية (باسم ربّك) و مَنْ هو اسمُ ربّك ؟ الإمام المعصوم صلوات الله عليه , ربّما في وقت آخر أتناول شرحَ هذه الآية الشريفة , المقام لا يسع لبيان معنى هذه الآية في هذا الوقت و نحن نتحدّث عن هذا الدعاء (اقرأ باسم ربّك) اسمُ ربّك مَنْ هو ؟ و القراءة هنا ليست قراءة في ورقة , القراءة هنا مطلق القراءة , القراءة الكونية , القراءة الخلقية , القراءة الوجودية , في العوالم العلوية , في العوالم السفلية و سائر أنحاء القراءة , و القراءة في الورقة إنّما هي مصادق من مصاديق القراءة و هي في مرتبة مُتدنيّة في مراتب القراءات (اقرأ باسم ربّك) القراءة باسم ربّك , و اسمُ ربّك مَنْ هو ؟ الإمام المعصوم صلوات الله عليه , و ادعُ باسمِ ربّك . (ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) في (الكافي) الشريف و في غيره من كُتب الحديث المعتمّرة , هذا السائل الذي يسأل الإمام الرضا , قال (ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى) كَلَّمَا ذَكَرَ اسْمَ اللهِ , لَفْظَةَ اللهِ , صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ! قال : (لَقَدْ كَلَّفْتَهُ شَطَطاً) كَلَّفْتَهُ ما لا طاقةَ له بذلك , هذا فوق طاقة الإنسان , لكن , ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى , ذَكَرَ اسْمَ النَّبِيِّ فَصَلَّى عَلَيْهِ , صَلَّوْا عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ . على أي حال أعود إلى كلامي , لا أريد أن أتفرّع في هذه المطالب , فالدعاء منسوب للإمام صلوات الله و سلامه عليه من هذا الباب و من هذا العنوان , إذ أنّ أسماءهم . كما في الروايات . كُتِبَتْ على الأشجار , على أجنحة الطيور , على العرش , على الكرسي , على العيون , على الشفاه , على القلوب , على كل شيء , و ما من ذرّة في الوجود إلا و كُتِبَتْ عليها أسماءهم , ربّما نوفّق بحوله تعالى إلى بيان معنى هذه الكتابة في وقت آخر . فالدعاء إنّما عُنونَ باسمِ الإمام صلوات الله و سلامه عليه و هو لشيعته فيكون لهم (وليّاً) أن يلي أمورهم سبحانه و تعالى (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يكون الباري لهم وليّاً يُخْرِجُهُم من كل ظلمة إلى النور الذي يُقابِلها (و حافظاً) يَحْفَظُهُمْ بِحَفَظَيْنِ , حِفظٌ في الحياة من طوارق الحياة , و الحياة الدنيوية مليئة بالطوارق , مليئة بالحدّاثات , حِفظٌ لهم في الحياة

ج ٦

الدينوية من الطوارق و الحادثات , و حفظ عن المعاصي و هو الحفظ الأهم (و لياً و حافظاً , و قائداً) أن يكون الباري قائداً لهم , و في الحقيقة إذا كان الباري قائداً لهم يعني أن الإمام الحجة قائد لهم صلوات الله و سلامه عليه , فعندما يكون الباري قائداً لهم يعني أنهم سيكونون قادة لغيرهم و لذلك في رواياتنا (المتقون سادة , و الفقهاء قادة) إن لم يكن هذا الدعاء لعامة الشيعة , على الأقل لخاصتهم , أو نفس المعنى الذي نقرأه في دعاء الافتتاح (اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة , نُعزُّ بها الإسلام و أهله , و نُذلُّ بها النفاقَ و أهله , و نجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك , و القادة إلى سبيلك) .

(و ناصرًا) أن يكون لهم ناصرًا على أعدائهم , قبل ظهور الإمام و بعد ظهور الإمام صلوات الله و سلامه عليه .

(و دليلاً) أن يكون لهم دليلاً في الفتن المظلمة و لذلك من جملة الأدعية التي ورد التأكيد بخصوصها (اللهم نجنا من مضلات الفتن) و مضلات الفتن إنما هي في زمن الغيبة الكبرى , في آخر الزمان , و آخر الزمان لا يشتهه عليك , ربما يقول البعض (من قال أننا في آخر الزمان) آخر الزمان منذ أن ابتدأت الغيبة الكبرى , وفقاً لنصوص أهل البيت لأهم عبروا عن غيبة الإمام أنها تقع في آخر الزمان , فالغيبة الكبرى كُلفها يُقال لها في كلمات أهل البيت (آخر الزمان) .
(و دليلاً و عيناً) أن يكون لهم عيناً , إما أن يكون عليهم مراقباً لكن مراقباً لا مراقبة العلم . الباري يُراقب الخلق مراقبة العلم . و إنما مراقبة الحب , أن يرعاهم برعايته , أن يُراقبهم مراقبة الحبيب , و إما أن يكون عيناً لهم يعني أن يكون بصرهم , بصيرتهم بتسديده فيميزون بين الحق و الباطل .

(حتى تُسكنه أرضك طوعاً) أنهم يبقون على هذه الحالة و إلا الإمام هو باقٍ على هذه الحالة , سكن الأرض طوعاً أم لم يسكن الأرض طوعاً , هو يحفظ الله بل هو حفظ الله , الله دليله بل هو دليل الله , هذه الصفات ثابتة للإمام سكن الأرض طوعاً أم لم يسكنها (حتى تُسكنه أرضك طوعاً) هذا الدعاء أننا ندعو بهذه المعاني للشيعة إلى الوقت الذي يسكنون في هذه الأرض طوعاً , و أنهم يسكنون في هذه الأرض طوعاً , الطوع من الطاعة , يعني أن الأرض تظهر طواعيتها لهم , و طواعية الأرض هنا يُشار فيها إلى معنيين .

المعنى الأول: الطوعية التكوينية للأرض بحيث تُخرج الأرض كنوزها .

و المعنى الثاني: طوعية أهل الأرض _ طوعية أهل الأرض _ أي أنهم يكونون في مقام الطاعة للحق و هو الإمام صلوات الله و سلامه عليه .

(و تمتعه فيها طويلاً) أصلاً هذه الفقرة خاصة بالشيعة أكثر مما هي بالإمام , لأن الذين يُمتعون حقاً في دولة الإمام الشيعة , الذين يُمتعون حقاً , من جهتين , من جهة مادية و من جهة معنوية , الذين يُمتعون حقاً الشيعة . أما من جهة مادية فواضح أن فقرهم ينقلب إلى غنى , و أن الصنك و الأذى سينقلب إلى رفاهية , و أن الأمراض ستزول . و أما من جهة معنوية , المخاوف تنقلب إلى الأمن , و الجهل يتحوّل إلى علم , أليس المرأة في بيتها تكون فقيهة كما في رواياتنا الشريفة , كانوا مؤخرين , في ظهوره سيكونون مُقدمين على غيرهم , ستظهر كلمتهم هي العليا و كلمة غيرهم هي السفلى , ستكون الأمور بأيديهم , و اسعد الناس به الشيعة إذا ظهر صلوات الله و سلامه عليه , و حينئذ سيظهر حقهم و سيظهر باطل

ج ٦

أعدائهم , هذه المعاني كُلُّها (و المأل كدوس, المأل كدوس) و الإمام صلوات الله و سلامه عليه يَحْتَوِ المأل حثوًّا هكذا , و تُخْرِج الأرض كنوزها , المتعة المادية و المعنوية إنما هي للشيعة , سواء الذين عاشوا في زمن الغيبة و أدركوا الإمام أو الذين سيولدون في زمن دولته و هؤلاء سيكونون أكثر مُتَعَةً من غيرهم لأنهم لا يرون ألمًا و لا أذى , أما الإمام صلوات الله و سلامه عليه فيبقى على جشوبة العيش كما تصف ذلك الروايات , على الأقل إن لم يكن إلى نهاية الأمر ففي بادئ أمره يبقى هو و أصحابه , أصلاً من جملة الأمور التي يشترطها على أصحابه أنهم ينامون على الخيول (كالعقبان) تصفهم الروايات و لذلك الإمام صلوات الله عليه , الإمام الصادق يقول: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هذا الأمر سهل (و الله لا يكون هذا حتى نَمَسَحَ نَحْنُ و انْتُمُ العَلَقَ و العَرَقَ) فالإمام صلوات الله وسلامه عليه فعلاً لا يُتَمَتَّعُ فيها , نعم قد تقول أن المتعة في إظهار الحق , نعم و هذه أعظم المتعة لكن المتعة المادية لا يظهر من الروايات أن الإمام سُمِّتَ فيها , أما الشيعة سُمِّتَونَ في الجنبتين , يُتَمَتَّعون في الجنبة المادية , يُتَمَتَّعون في الجنبة المعنوية بل إذا أردنا أن ننظر إلى الروايات التي ذكرت مُدَّة حُكْم الإمام و أردنا أن نُقايِسَها بِمُدَّة غَيْبَتِهِ إلى هذا الوقت , لو فرضنا أنه يظهر في هذا الوقت فَتلك المُدَّة لا تُعَد بشيء , الروايات التي ذكرت , أكثر الروايات ذكرت أن مُدَّة حُكْمِهِ صلوات الله عليه تسع سنين أو سبع سنين , و كل سنة من هذه السنين تُعادل عشرة من سنينكم , من سنيننا , فلنضرب تسعة في عشرة , تسعون , أو سبعة في عشرة , سبعون , روايات تقول ثمانون , بالنتيجة الاختلاف في الأرقام راجع إلى نفس وضع إخلاص الناس للإمام صلوات الله وسلامه عليه . و المسألة خاضعة للبداء لكن على أكثر الروايات _ على أكثر الروايات _ و هذه الروايات قليلة و إلا المشهور في رواياتنا هذا الذي ذكرته قبل قليل لكن أكثر رقم ذكرته الروايات , ثلاثمائة و تسعة كما تقول الروايات بعدد السنين التي نام فيها أهل الكهف في كهفهم , مع ذلك هذا الرقم أكثره يكون في الحروب , أكثره في الحروب , أكثره في المتاعب , و إذا قيس بالآلام التي لاقاها الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه لا يُعَد بشيء علماً أن الروايات تقول أنه في ظهوره , حينما يظهر سيلقى من الأذى أكثر مما أودى رسول الله صلى الله عليه و آله , و النبي يقول (ما أودى نبي مثلاً أوديت) إذن التمتع المادي هناك غير موجود أصلاً و إلا باب في (غيبة) النعماني يُشير إلى هذه الروايات , أنه يؤدي أكثر مما أودى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم , على أي حال هذه المطالب ربما في وقت آخر نتعرض إليها بشكل أكثر تفصيل لكن مرادي من هذه المعاني , أردت أن أُبَيِّن الدلالة الإجمالية لألفاظ الدعاء على أساس الفهم الذي بيته أن هذا الدعاء , في حقيقته , في روحه , في بُنْيَتِهِ الأصلية للشيعة , نعم في ظاهره اللفظي منسوب إلى الإمام صلوات الله و سلامه عليه و هذا بعد أن بيته لك مُقَدِّمات . أما يا ترى هذا النحو من الأسلوب , أنه الظاهر اللفظي يدل على شيء و البنية المعنوية , و الروح المعنوية في الكلام , في الدعاء مثلاً كالدعاء هذا الذي بين أيدينا ناظرة إلى شيء آخر , هذا الأمر بجده واضحاً و جلياً في آيات الكتاب , في روايات أهل البيت , في ادعيتهم , في زياراتهم , و الآن أُبَيِّن لك جهة من جهات هذا المعنى .

أولاً: هو هذه القضية, أن يكون الدعاء في معناه مُعَنَوَنًا بِاسْمِ الإمام الحجة صلوات الله عليه و منسوباً إلى الإمام الحجة و معانيه في حقيقتها عائدة للشيعة, أولاً هو هذا الطرز من المعنى أو هذا الطرز من الأسلوب, هل له وجود؟ هو موجود في

ج ٦

العُرف من جهة معنوية قبل أن يوجد في البُنيان اللفظي للأدعية , الآن إذا أردنا أن نرجع إلى آداب العرب , إذا أردنا أن نرجع إلى تأريخ العرب بل حتى في زماننا هذا , أليس ما في القوم من العيوب يُنسب إلى زعيمهم , أو ما في الزعيم من العيوب يُنسب إلى القوم , أو بالعكس , ما في القوم من المفاخر تُنسب إلى الزعيم , و ما في الزعيم من المفاخر تُنسب إلى القوم و لربما هناك كثير من القبائل في تاريخ العرب لها من السمعة و الصيت بسبب شيوخها مع أنّها لا تستحقّ فعلاً هذه السمعة الاجتماعية , و بالعكس أيضاً , هناك من القبائل من تستحقّ السمعة و الصيت الاجتماعي إلا أنّها في علم الأنساب بين المؤرخين ليس لها هذا الصيت أيضاً بسبب شيوخها , بسبب زعمائها , هذه المسألة مسألة عُرفية واضحة , لربما عائلة كبيرة يخرج منها رجل واحد , هذا الرجل فيه مؤهلات , فيه صفات , فيه كمالات , بسبب كمالات هذا الرجل تُنسب الكمالات لكل العائلة و بالعكس أيضاً , و لربما عائلة فيها كمالات لكن في أفرادها من لا يحمل تلك الكمالات , مع ذلك الناس ينظرون إلى أفرادها بنفس المنظار الذي يُنظر فيه إلى تلك العائلة , يعني هذا من جهة معنوية , روح هذه المعاني موجودة في العُرف , هذه حقيقة واقعية موجودة , أنّه يؤخذ عنوان الشخص كعنوان و تُنسب إليه الأمور , لكن هذا ليس مُهمّاً الآن بالنسبة لنا , لنرجع إلى آيات الكتاب لنترى أن القرآن الكريم وردّ بهذا الأسلوب , في أكثر موارد وردّ بهذا الأسلوب , و حتى في كلمات أهل البيت , بالنتيجة أهل البيت قالوا إن كلامنا كالقرآن , كما أن القرآن فيه مُحكم و مُتشابه , كلامنا فيه مُحكم و مُتشابه , ناسخ و منسوخ , مُطلق و مُقيّد و إلى آخره , عام و خاص , ما في القرآن من خصائص موجودة في كلام أهل البيت , إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه ماذا يقول ؟ يقول إنّ كتاب الله عز و جل على أربعة أشياء , مراد إنّ كتاب الله عز و جل على أربعة أشياء , يعني الميزان أو النظام الذي نُظّم به الأسلوب القرآني في بيان المعارف , في بيان العلوم , في بيان الأسرار , في بيان الأحكام , كان مبنياً على أربعة أشياء , إنّ كتاب الله عز و جل على أربعة أشياء , ما هي هذه الأشياء يا بن رسول الله ؟ قال عليه السلام: على العبارة , و الإشارة , و اللطائف , و الحقائق , على العبارة , و الإشارة , و اللطائف , و الحقائق , و اللطائف للأولياء , و الحقائق للأنبياء , في ليلة البارحة فعلاً تحدّثنا عن الحقائق , أن غاية ما يصل إليه الأنبياء عدا أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين , غاية ما يصلون إليه الحقائق , و أما أهل البيت فيصلون إلى حقائق الحقائق (اللهم أرنا الحقائق على حقيقتها) هذا الأمر مخصوص بأهل البيت , على أي حال لا نريد أن ندخل في هذا التفصيل , لكن القرآن على أربعة أشياء , على العبارة , و الإشارة , و اللطائف , و الحقائق , أما العبارة فللعوام , و أما الإشارة . و الحُرّ تكفيهِ الإشارة . و أما الإشارة فهي للخواص , و أما اللطائف فللأولياء , و أما الحقائق فللأنبياء , و هذا النحو من التعبير إنّما هذا من نحو اللطائف , هذا النحو في الدعاء الشريف , هذا النحو في التعبير و لذلك حتى في علم البلاغة هناك ضَرْب من ضروب المدح يُسمّى بالمدح اللطيف , ظاهره دَم لكن حقيقته مدح , ظاهره دَم لكن حقيقته مدح , كما قالت ابنة حاتم الطائي للنبي صلى الله عليه و آله أنّه (لا أذاقك الله طعم العافية) المسلمون لم يقبلوا بهذا , قال لا , إنّها دعوت دعاء خَيْر (لا أذاقك الله طعم العافية) الذي يذوق طعم العافية هو المريض , الصحيح المشافي لا يستشعر بطعم العافية (نعمتان مجهولتان) متى ما فُقدت العافية حينئذٍ يتحسّن الإنسان

مذاقها , فقالت له (لا أذاقك الله طعم العافية) هذا من المدح اللطيف , القرآن واللطائف , و المدح اللطيف و اللطائف تتفقان في بعض الجهات , الآن لسننا بصدد هذه التفصيلات و إلا الكلام في مثل هذه المطالب كلام طويل عريض لأن هذا الكلام يحتاج إلى أن نفتح باباً في تأسيس قواعد و أصول لفهم آيات الكتاب وفقاً لهذا المنظار لكن أضرب بعض الأمثلة .

ما ورد في سورة الأحزاب , الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين) أو في سورة البقرة (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) واضح , الخطاب في الآيات لا يتناسب و مقام النبي صلى الله عليه و آله . الآن إذا أردنا أن نخطب شخصاً بهذا الخطاب (اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين) ماذا يفهم من هذا ؟ أمر و نهي , الظاهر من هذه الآيات معاني لا تتناسب و مقام النبي صلى الله عليه و آله و سلم (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) الممترين هي إما مشتقة من المماراة و هذا بعيد , المماراة , المجادلة , و بالنتيجة حتى المجادلة (فلا تكن من المجادلين في الحق) أيكون النبي مجادلاً في الحق , يُجادل الباري (الحق من ربك) يعني ما نزل عليك من ربك (فلا تكونن من الممترين) لكن الذي عليه أكثر المفسرين إن لم نقل كلهم , الممترين مشتقة من الامتراء , و الامتراء الشك (فلا تكونن من الممترين) يعني فلا تكونن من المشككين , من الشكاكين , هذا الخطاب يتناسب مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم ؟ هذا الخطاب لا يتناسب مع النبي أبداً , لا يتناسب مع النبي أولاً , أولاً , لأن أهل البيت وضعوا لنا ميزاناً في المعرفة فماذا قالوا ؟ قالوا: (اعرفوا الله بالله) أمير المؤمنين يقول: صلوات الله عليه (اعرفوا الله بالله , و الرسول بالرسالة , و أولي الأمر بالمعروف و العدل و الإحسان) الرواية الشريفة في (توحيد) الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه في باب المعرفة . (اعرفوا الله بالله , و الرسول بالرسالة , و أولي الأمر بالمعروف و العدل و الإحسان) إذن نعرف الرسول بالرسالة , ما المراد نعرف الرسول بالرسالة) لأن هناك من الشيء الثابت عرفاً إن لم يكن عقلاً , أن الرسول إنما يمثل المرسل , من الذي أرسله , هذا إن لم يكن ثابت عقلاً فهو عرفاً ثابت هذا المعنى , إن لم يكن عرفاً ثابت , وجداناً هذا المعنى يثبت , إذا كان احد من الناس يُرسل شخصاً يتكلم عنه , ينطق عنه , حتماً نحن نستنتج هذا المعنى , أن هذا الذي ينطق به و هذا الشخص إنما يحمل فعلاً المعنى الذي يحمله نفس الذي أرسله فهل يمكن أن يُرسل الباري رسولاً بهذه الأوصاف _ بهذه الأوصاف _ ؟ رسولاً لا يتقي , يؤمر بالتقوى , رسولاً يكون مُطيعاً للكافرين و المنافقين حتى يُنهي بعد ذلك أو هل يمكن أن يُرسل رسولاً يشك في الحق الذي أنزل إليه من ربه , كيف يكون هذا ؟ إنما يُعرف الرسول بالرسالة , و المراد من الرسالة لَمَّا كانت من الله حينئذ تكون الرسالة كاملة و حينئذ يكون الذي جاء بها كاملاً , هذا أولاً , من جهة ثانية , دعنا من هذا الكلام , من جهة ثانية إذا أردنا أن ندرس حياة النبي كما ندرس أية شخصية في التاريخ , نحن لا نجد هذه المعاني في شخصه , لنفرض أننا لسننا بمسلمين , نصراني يريد أن يدرس حياة النبي على وجه التحقيق في التاريخ , هذه المعاني لا يجدها في حياة النبي , لا يجد طاعة للكافرين و المنافقين , هذا المعنى واضح و جلي , ثم ماذا , الآية تأمره (يا أيها النبي اتق الله) و التقوى

في نظر القرآن مرتبة مُتَدَيِّنَةٌ عن الإيمان (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) الذين آمنوا من عامة الناس يُخَاطَبُونَ بهذا الخطاب , هذا الإيمان الموجود عندنا , هذا إيمان مجازي (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) هذه الآية ربَّما شَرَحْتُهَا فيما سَلَفَ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) إلى آخر الآية الشريفة (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) التقوى أقل مرتبة من الإيمان الواقعي , إمَّا هي مُقَدِّمَةٌ (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) ثم ماذا (وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) الذين لا بد أن يؤمنوا بالنبى أولاً أن ينالوا الإيمان المجازي هذا الموجود عندنا , الاطمئنان , ثم التقوى , ثم ينتقلوا إلى الإيمان برسول الله , إذن كيف بإيمان رسول الله ؟ الذين يتبعونه عامتهم يؤمرون بهذا الأمر (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) إذن كيف تأتي الآية فتقول (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ) أو الآية الثانية (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ) مع نون توكيد , نهي مع نون توكيد و هذا في البلاغة له دلالة , يعني هنا نهي مؤكَّد , مع نون توكيد مُشَدَّدَةٌ و ليست مُحَقَّقَةٌ (فَلا تَكُونَنَّ) و النون التوكيد المُشَدَّدَةُ ابلَغَ في التأكيد من المُحَقَّقَةِ (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ) يعني هو يَشْكُ في الذي يُنْزَلُ عليه و نحن نقرأ في أوصاف المؤمنين في القرآن (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) هكذا يُذَكِّرُ الله (و إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) إِذَا تُلِيَتْ هكذا الآيات يسمعونها هكذا بهذا الصوت , ليس من الله نازلة عليهم , عامة المؤمنين هكذا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ) فقط يُذَكِّرُ الله (وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ) إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) كيف إذن يكون النبي من الممتزين ؟ و لذلك أهل البيت , إمامنا الصادق و غيره صلوات الله عليهم أجمعين , بيَّنوا هذا المعنى , " قالوا إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ إِبْرَاهِيمَ وَ اسْمِعِي يَا جَارَةَ وَ إِنَّ اللَّهَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ خَاطَبَ نَبِيِّهِ وَ عَنَى أُمَّتَهُ " , فالخطاب في البنية اللفظية للنبي , أمَّا المعنى للأُمَّة , الأُمَّة هي التي تُخَاطَبُ أَنَّهُ اتَّقِ اللَّهَ , وإنه لا تطيعوا , اتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَ المُنَافِقِينَ , لكن الخطاب وَجَّهٌ للنبي صلى الله عليه و آله و هذا من باب إِبْرَاهِيمَ اعْنِي وَ اسْمِعِي يَا جَارَةَ كما قال إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه , و ليس هذا , الآيات في هذا الباب كثيرة , آيات العتاب في القرآن من هذا القبيل , الآية الكريمة من سورة الأنعام (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) , (وَ لا تطرد) , وَ الطرد ليس من خُلُقِ النبي (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ) , النبي صلى الله عليه و آله الذي ما طردَ الأول و الثاني على بُجَاسَتِهِمْ , يطرد الذين يدعون رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ , كيف يكون هذا المعنى ؟ أبدأً , الآية ماذا تقول (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ) و هذا نهي واضح (هذه اللا) هنا لا ناهية (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) يعني ليس من المنافقين و إمَّا يريدون وجه الله و يدعون بالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ (وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ , ما عليك من حسابهم من شيء , و ما من حسابك عليهم من شيء فَنَطْرُدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) النبي صلى الله عليه و آله يطردهم و يكون من الظالمين ؟ كيف يكون هذا المعنى , و إذا أردنا أن نسأل القرآن عن

آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ (الْقَوْلِ الثَّابِتِ وَوَلَايَةِ عَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ) (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فِي التَّمَسُّكِ بِهَا (وَ فِي الْآخِرَةِ)
على الصراط كما تُبَيِّنُهُ الروايات الشريفة الواردة عن أهل بَيْتِ الْعِصْمَةِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .
أَيْضاً مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) هَذِهِ الْآيَةُ فِي بُنْيَتِهَا اللَّفْظِيَّةُ لِلنَّبِيِّ ، يَعْنِي هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ غَيْرَ مُبَلِّغٍ لَوْلَايَةِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَ هُوَ فِي كُلِّ حَالٍ يَلْهَجُ بِذِكْرِ عَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِ ؟ لَا يُمْكِنُ هَذَا أَوَّلًا لَكِنِ الْخَطَابُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ
لِلْأُمَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ هُوَ الَّذِي يُخَاطَبُ بِهَذَا الْخَطَابِ فَغَيْرُهُ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ بَابِ أَوْلَى يُخَاطَبُ بِهَذَا
الْخَطَابِ ، الْبُنْيَةُ اللَّفْظِيَّةُ ظَاهِرَةٌ فِي النَّبِيِّ لَكِنِ الْمَعْنَى إِتْمَا هُوَ مَوْجَّهٌ لِلْأُمَّةِ (وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) يَعْنِي أَنَّ
النَّبِيَّ يَخَافُ مِنَ النَّاسِ فِي تَبْلِيغِ هَذَا الْأَمْرِ ؟ هُوَ مَتَى خَافَ مِنَ النَّاسِ فِي أَوَّلِ بَعَثَتِهِ حَتَّى يَخَافَ بَعْدَ أَنْ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ ، لَا
يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ هَذَا الْمَعْنَى لَكِنِ الْآيَةُ تُرِيدُ أَنْ تُنَبِّهَ النَّاسَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَارِفًا بِعَلِيِّ فَلْيَبْلُغْ لِعَلِّيَّ صَلَوَاتِ اللَّهِ
عَلَيْهِ (وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) الْآيَةُ أَيْضاً تُشِيرُ هُنَا ، وَ أَنَّ النَّاسَ سَيَعَادُونَكَ فِي عَلِيِّ وَ هَذَا الْمَعْنَى وَارِدٌ فِي
رَوَايَاتِنَا الشَّرِيفَةِ ، إِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبْتَلَى بِعَدَاوَةِ النَّاسِ ، وَ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ تَكُنْ خَطَابًا . فِي رُوحِهَا ، فِي
حَقِيقَتِهَا . لِلنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ .

كَذَلِكَ فِي آيَةِ أُخْرَى (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ضَالٌّ ؟ وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ؟
وَ نَحْنُ مِنْذُ أَنْ وُلِدْنَا ، وَ وُلِدْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ ، هَكَذَا وَ وُلِدْنَا مُهْتَدِينَ ، وَ نَبِينًا ضَالًّا ثُمَّ اهْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ ، قَرَّتْ أَعْيُنُنَا إِذَا كُنَّا
نَعْتَقِدُ بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ وَ إِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ يَذْكُرُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْخُرُوجَاتِ وَ السَّفَاسِيفِ وَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ السَّخِيفَةِ مَوْجُودَةٌ
حَتَّى فِي كُتُبِنَا ، فِي كُتُبِ الشَّيْعَةِ (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ ضَالًّا ثُمَّ اهْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ ؟ لَيْسَ الْمَعْنَى
هَذَا ، يَقُولُ إِمَامُنَا الرِّضَا صَلَوَاتِ اللَّهِ وَ سَلَامِهِ عَلَيْهِ (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا) ضَالًّا عِنْدَ قَوْمِكَ (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا) فَهَدَاهُمْ إِلَى
مَعْرِفَتِكَ ، وَ لِذَلِكَ أَثْمَتْنَا مَاذَا يَقُولُونَ ؟ يَقُولُونَ (اِبْعُدْ شَيْءًا مِنْ عَقُولِ الرِّجَالِ ، الْقُرْآنِ) اِبْعُدْ شَيْءًا عَنْ عَقُولِ
الرِّجَالِ الْقُرْآنَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُدْرِكُ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُدْرِكُ وَ لَا يُصَابُ بِالْعَقُولِ ، وَ كَمَا بَيَّنَّتُ قَبْلَ ذَلِكَ ، عِبَائِرٌ وَ إِشَارَاتٌ وَ
لَطَائِفٌ وَ حَقَائِقٌ وَ مَنْهَلُهَا عَلِيٌّ وَ آلُ عَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، إِنْ كَانَ الْمَعْنَى يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ الْمَعْنَى
الْمَطْلُوبُ ، وَ إِنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَيْتِ فَذَلِكَ الَّذِي يَقُودُ الْإِنْسَانَ إِلَى النَّارِ ، وَ ذَلِكَ الَّذِي يَقُودُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْحَمِيمِ
، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ (وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) ظَاهِرُ الْبُنْيَةِ اللَّفْظِيَّةِ (هَدَى) مَنْسُوبَةٌ إِلَى النَّبِيِّ لَكِنِ إِمَامُنَا الرِّضَا
صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ (فَهَدَى قَوْمَكَ إِلَيْكَ) هَدَى قَوْمَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ ، الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْتُمَا فِي أَوَّلِ حَدِيثِي (إِنَّا فَتَحْنَا
لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا) مَاذَا يَقُولُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ؟ يَا عَلِي ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى حَمَلَنِي ذُنُوبَ شَيْعَتِكَ فَغَفَرَهَا لِي ،
وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ ، هَذَا النَّصُّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَامِهِ ، يَا
عَلِي إِنَّ اللَّهَ حَمَلَنِي _ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى حَمَلَنِي ذُنُوبَ شَيْعَتِكَ فَغَفَرَهَا لِي ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذنبك و ما تأخّر , و في هذا الباب وردت روايات كثيرة عن الأئمة عليهم أفضل الصلاة و السلام , يسألون الإمام , يا بن رسول الله , هل للنبي من ذنب ؟ قال لا , فيقول إذن ما معنى ليغفر لك الله ؟ قال أن الله حمّله ذنوب شيعته عليّ ثم غفرها له , و في الرواية في (تفسير العياشي) عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أنّ النبيّ كان يقول إني , كان دائماً يُردّد هذا المعنى (إني أخاف إن عصيتُ ربّي عذاب يومٍ عظيم) يقول حتى نزلت سورة الفتح فلم يذكر النبي صلى الله عليه و آله ذلك الكلام , النبيّ ما كان خائفاً على نفسه و هو الشافع المشفع و ما من نبيّ إلاّ و هو محتاج إلى شفاعته صلى الله عليه و آله , و ربما نتحدّث عن الشفاعة لأنّ بعض الأخوة سألوها عن معنى الشفاعة و طلبوا بيّانها , إذا كان عندنا مُتّسع من الوقت في الليالي القادمة ربّما نتحدّث عن هذا المعنى و نُبيّن هذا البُعد في روايات أهل البيت , أنّه ما من نبيّ إلاّ و هو محتاج إلى شفاعته النبي و أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين , فإمامنا الصادق يقول , كان النبيّ يُردّد هذا المعنى كثيراً (إني أخاف إن عصيتُ ربّي عذاب يومٍ عظيم) خوْفه أيضاً , خوْفه على شيعته عليّ , الذي يسمّع هذه الجملة ماذا يتصوّر ؟ يتصوّر أن خوْفه على نفسه لكنّ لما نزلت هذه الآية بمغفرة ذنوب شيعته عليّ صلوات الله عليه ما نطق النبيّ بهذا المعنى و إلاّ نحن إذا أردنا أن ننظر إلى الآية , إذا أردنا أن ننظر إلى الآية الشريفة , ليغفر لك الله (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) هذه آية على حدة , هذه أول السورة , الآية الثانية تبدأ من هنا (ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر) ذنوب مُتقدمة و ذنوب مُتأخّرة , هو هذا حالنا , ليس هذا بحال النبي صلى الله عليه و آله , ثم ماذا (و يُتّم نعمته عليك) و إنّما تمّت النعمة علينا بولاية علي (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي _ و يهديك صراطاً مُستقيماً _) و الصراط المستقيم عليّ لا غيره , الآية واضحة , من خلال الآيات الشريفة و من خلال الروايات (و يُتّم نعمته عليك) بعد المغفرة (و يُتّم نعمته عليك) و إنّما إتمام النعمة بولاية علي (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي _ و يهديك صراطاً مُستقيماً _) و الصراط المستقيم عليّ لا غيره صلوات الله عليه و لذلك بعض المُفسّرين يلتفت هذه الالتفاتة , يجمع الحروف المقطّعة في أوائل السور , هذه (الم , المص) إلى آخره , الحروف المقطّعة في أوائل السور , يُسقط المتشابهات , المتكرّرات , الجملة التي تنتج (صراط عليّ حقّ نُمسكه) صلوات الله عليه , الجملة التي تُستخرج من مجموع الحروف المقطّعة في أوائل السور , إذا أسقطنا المتكرّرات , هذه الجملة (صراط عليّ حقّ نُمسكه) و عليّ هو الصراط , و عليّ هو الاستقامة صلوات الله و سلامه عليه (و يُتّم نعمته عليك و يهديك صراطاً مُستقيماً) و إنّما النبيّ تمّت عليه النعمة قبل الخلق , و إنّما النبيّ هُدي إلى الصراط المستقيم قبل خلق الخلق حينما كان يقول (كُنّا نُسبّحه حيث لا تسبيح) و إنّما التسبيح هو الصراط المستقيم (كُنّا نُسبّحه حيث لا تسبيح , نُقدّسه حيث لا تقدّس) يعني حيث لا وجود , حيث لا كائنات , حيث لا خلق , و إنّما نحن الذين تمّت علينا النعمة بعليّ و آل علي , نحن الذين هُدينا إلى الصراط المستقيم أن كُنّا في عداد عبّيد عليّ و آل عليّ صلوات الله عليهم أجمعين , على أي حال الآيات كثيرة , و الوقت , أنا كان في بالي أورد أكثر عدد من هذا العدد الذي أوردته من الآيات الشريفة و إلا القرآن مليء بمثل هذه

المصاديق و الأدعية مليئة و الزيارات مليئة لكن لا يوجد مجال لبسط الكلام في كل هذه المطالب و إلا هذا الأسلوب الذي شرحت به الدعاء لم يكن بدعة من القول و إنما الأسلوب القرآني أصلاً هو بهذه الطريقة , الأسلوب الذي تحدثت به أهل البيت بهذه الطريقة , يكون الظاهر اللفظي منسوباً إلى جهة , و الواقع المعنوي للكلام يُراد به جهة ثانية و من هنا قلنا أن هذا الدعاء في بُنيته اللفظية متوجه للإمام الحجة و أما في حقيقته المعنوية إنما هو للشيعة , نفس الكلام الذي قد يرد في هذا الدعاء , و هذا الدعاء إنما اذكره لأنه يتكرر في الزيارات و حتى في الصلوات , حتى في الصلوات الواجبة كالصلاة . مثلاً . على الميت , أو في الأدعية (اللهم صل على محمد و آل محمد , و بارك على محمد و آل محمد , و ترحم على محمد و آل محمد . هذه الأدعية . كما صليت و باركت و ترحمت على إبراهيم و آل إبراهيم) المراد هنا بآل محمد , الشيعة , و إلا أين إبراهيم و أين آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين (و إن من شيعته لإبراهيم) الآية في الكتاب الكريم (و إن من شيعته) من شيعة علي كما ورد ذلك في الروايات , إبراهيم من شيعته , يُصلى على النبي و آله كما يُصلى على إبراهيم و آل إبراهيم , كيف يمكن هذا ؟ و قد ورد في رواياتنا أن الشيعة هم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين , هذا المعنى ورد في رواياتنا , بالنتيجة المقام لا يسع لبيان كل شيء و تفصيل الكلام في كل مطلب لكن إن شاء الله على طول الليالي ربما تُبين بعضاً من هذه المعاني بحسب ما يتسع الوقت , بحسب ما يوافق الحال و المقام , فهذا الدعاء الشريف ظاهره اللفظي (اللهم صل على محمد و آل محمد) و أما حقيقته المعنوية عائد للشيعة كنسبة المغفرة (ليغفر لك الله) و ليس فقط هذا الأسلوب موجود بل هناك أسلوب قد يكون بالعكس , الآن الذي تناولناه , الآيات أو هذا الدعاء منسوب إلى أهل البيت , الآيات تُخاطب النبي , الدعاء يُخاطب الإمام الحجة صلوات الله عليه و الروح المعنوية لهذه المقولات , لهذه الكلمات , لهذه الآيات تعود إلى الأمة , تعود إلى الشيعة مثلاً أو إلى الأمة عامة , إلى الإنسانية عامة .

أما يوجد عندنا طرز آخر من الأدعية , الدعاء بُنيته اللفظية للشيعة و باطنه للإمام صلوات الله عليه , هناك عندنا جملة من الأدعية , و بالنتيجة أنا قلت في بعض الليالي السابقة إن أدعية أهل البيت فيها من العلوم و المعارف , ربما في الليلة القادمة إن شاء الله أهدت بعض الشيء عن أسرار أدعية أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين , هناك من الأدعية ما ظاهره _ ما ظاهره للشيعة و حقيقته لمن ؟ للإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه , مثلاً من جملة الأدعية التي ندعو بها في شهر رمضان الدعاء المروي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الذي يُستحب قراءته عُقب كل فريضة (اللهم ادخل على أهل القبور السرور) هذا الدعاء ظاهره للشيعة , أما حقيقته , هذا الدعاء تفصيل كامل لقولنا (اللهم عجل فرج وليك) لأن هذه المعاني لا يمكن أن تتحقق قبل ظهور الإمام (أغن كل فقير) متى ؟ في ظهور الإمام (أشبع كل جائع) متى , في ظهور الإمام (اللهم ادخل السرور على أهل القبور) في رواياتنا إنما يدخل السرور حقيقة عند ظهور الإمام , الروايات تقول , حتى أن أهل القبور يُسرون بظهوره , الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت (اللهم ادخل السرور على أهل القبور , اللهم أغن كل فقير , اللهم أشبع كل جائع , اللهم

ج ٦

اَكْسُ كُلِّ عُرْيَانٍ ، اللهم اقضِ دَيْنَ كُلِّ مَدِينٍ ، اللهم فَرِّجْ عَن كُلِّ مَكْرُوبٍ) متى يُفَرِّجُ عَن كُلِّ المَكْرُوبِينَ ، إِلَّا بِظَهْوَرِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ (اللهم فَرِّجْ عَن كُلِّ مَكْرُوبٍ ، اللهم رُدِّ كُلَّ غَرِيبٍ ، اللهم فَكِّ كُلَّ أَسِيرٍ ، اللهم أَصْلِحْ كُلَّ فَاسِدٍ مِّنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ) متى يَصْلِحُ كُلَّ فَاسِدٍ مِّنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا بِظَهْوَرِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، _ اللهم أَصْلِحْ _ بل ليس في أول ظهوره و إنما هذه الأمور تتحقّق بعد ظهوره صلوات الله عليه (اللهم أَصْلِحْ كُلَّ فَاسِدٍ مِّنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، اللهم اشفِ كُلَّ مَرِيضٍ ، اللهم سُدِّ فَقْرَنَا بِغِنَاكَ) شفاء كل مريض متى ، بِظَهْوَرِهِ (و يُشْفَى دَوُو الْعَاهَاتِ) كما تقول الروايات الشريفة الواردة عنهم (اللهم سُدِّ فَقْرَنَا بِغِنَاكَ ، اللهم غَيِّرْ سَوْءَ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكِ) سوء حالنا ، يعني هذه الحالة _ هذه الحالة الحيوانية التي نعيشها ، هذه الحالات التي ملؤها الحِقَارَةُ و النقص متى تتغيّر لتتحول _ لتتحوّل أخلاقنا إلى أخلاق إلهية (غَيِّرْ سَوْءَ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكِ) يعني هذه الأخلاق السيئة ، هذه الطباع الرذيلة التي نَحْمَلُهَا تَعِيْشُ مَعَنَا دَائِمًا إِنَّمَا تَتَغَيَّرُ إِلَى طَبَائِعِ إلهية متى ؟ بِظَهْوَرِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ (اللهم غَيِّرْ سَوْءَ حَالِنَا بِحُسْنِ حَالِكِ و اقضِ عَنَّا الدَّيْنَ ، و اغننا من الفقر أنّك على كل شيء قدير) هذه المعاني ظاهرها للشيعة ، البُنيّة اللفظية للدعاء الشريف ، البُنيّة اللفظية للشيعة أما البُنيّة الواقعية هذه للإمام الحُجَّة صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ و سلامه عليه و إلا أقل تفكير في فقرات الدعاء توصلنا إلى هذا المعنى .

بِمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ أَن اذْكُرَ حَادِثَةً مَّنْقُولَةً عَن أَحَدِ الْمُؤْمِنِينَ بِخُصُوصِ هَذَا الدَّعَاءِ ، هَذِهِ الْحَادِثَةُ وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَلْفٍ وَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَ وَاحِدٍ لِلْهَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، يَعْنِي فِي سَنِينِنَا هَذِهِ ، الْحَادِثَةُ قَرِيبَةٌ ، لِأَحَدِ الْمُؤْمِنِينَ مِّنْ أَهْلِ مَشْهَدٍ ، مِّنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، الْحَادِثَةُ يَنْقُلُهَا إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ وَ الْحَادِثَةُ تُثَقِّلُ بَعْدَ ذَلِكَ ، أَنَّهُ فِي أَحَدِ أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، عِنْدَ وَقْتِ الْإِفْطَارِ يُطْرَقُ الْبَابُ عَلَيْهِ ، مَن الطَّارِقُ ، اشْرَفَ مَوْجُودٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، الْإِمَامُ الْحُجَّةُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ يَحِلُّ عَلَيْهِ يَحِلُّ عَلَيْهِ ضَيْفًا ، وَ فَعَالًا يُصَلِّي صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَ الْعِشَاءِ . وَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَنْقُلُ الْحَادِثَةَ يَقُولُ وَ أَنَا كُنْتُ قَدْ صَلَّيْتُ خَلْفَهُ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَ الْعِشَاءِ ، بَعْدَ ذَلِكَ أَفْطَرْنَا عِنْدَنَا فِي الْبَيْتِ ، لَمَّا وَضَعْتُ سَفْرَةَ الطَّعَامِ ، فَعَلَى السَّفْرَةِ وَنَحْنُ نَأْكُلُ طَعَامَ الْإِفْطَارِ ، الْإِمَامُ كَانَ يَتَحَدَّثُ ، مِّنْ جُمْلَةِ حَدِيثِهِ قَالَ لِي أَقْرَأْ دَائِمًا هَذَا الدَّعَاءَ (اللهم ادخل على أهل القبور السرور) إلى آخر الدعاء الشريف ، ثم الإمام يُبَيِّنُ بَعْضَ الْمَعَانِي فَيَقُولُ أَن جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ، بِاعْتِبَارِ الدَّعَاءِ مَرْوِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، إِنَّ جَدِّي لَمَّا أَمَرَ بِقِرَاءَةِ هَذَا الدَّعَاءِ وَ قَالَ هَذَا الدَّعَاءَ يُقْرَأُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِأَنَّ هَذَا الدَّعَاءَ لظهور الفرج ، لتعجيل الفرج ، و إلا لا يتحقّق هذا الدعاء حقيقةً إلا بالظهور ، ثم يقول له ، و انقل عني هذا الكلام لشيعتنا ، أن يقرؤوا هذا الدعاء بكثرة لأنّ هذا الدعاء فيه تعجيل فرجنا ، لأنّ هذا الدعاء دعاء لظهور الفرج و لتعجيل فرج الإمام صلوات الله و سلامه عليه ، هذا ممّا يؤيّد المعنى الذي أشرت إليه ، من جملة فقرات هذا الدعاء الشريف (اللهم رُدِّ كُلَّ غَرِيبٍ ، اللهم فَكِّ كُلَّ أَسِيرٍ) و إنّما يُرَدُّ كُلُّ غَرِيبٍ إِلَى وَطَنِهِ بِظَهْوَرِ الْإِمَامِ بَلْ هُوَ الْوَطَنُ ، وَ (حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ) الْوَطَنُ هُنَا الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ وَ إِلَّا الْوَطَنُ ، التراب قد يكون من معاني الحديث ، الْوَطَنُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي تَسْتَوِطِنُ بِهِ الْقُلُوبُ ، الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ ، وَ إِلَّا لَيْسَ هُوَ هَذِهِ الْبَقْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ ، يَكُونُ قَدْ يَكُونُ ،

بالنتيجة كلمات أهل البيت و أحاديث أهل البيت لها معاريض , و لها وجوه , و لها جهات و مطالع و مجار , و كلام أهل البيت لا يُفهم بهذه السهولة لذلك قالوا (إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِنَا فُقِيهًا) لاحتظ , فقيهاً , ربّما الآن معنى الفقيه المستعمل غير هذا المعنى , الآن معنى الفقيه المستعمل في اصطلاحنا , في حوزاتنا العلمية تُطلق على هذا الذي يفهم النصوص في استنباط الأحكام الشرعية , و فهم النصوص لاستنباط الأحكام الشرعية لا يحتاج إلى مئونة كثيرة لأنّ هذه النصوص قد سمعها البدوي في زمن الإمام و فهمها و ما كان الإمام يقول أنّه لا بد أن يكون البدوي يعرف لحن القول , هذه النصوص كان الإمام يذكرها . النصوص الفقهية . يذكرها عند البدوي و عند الإعرابي و عند سائر الناس , و عند غير العربي , مجرّد أن يفهم المعاني اللغوية بشكل مختصر , يذكر هذه المعاني عنده و يفهمونها و يعملون بها , و إنّما قال (إِنَّا لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِنَا فُقِيهًا حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَيَعْرِفَ اللَّحْنَ فِي الْقَوْلِ) معرفة لحن القول معرفة إدراك حقائق المعاني في آيات الكتاب و في كلمات أهل البيت , على أي حال , فهذا المقطع في الدعاء الشريف (رُدَّ كُلَّ غَرِيبٍ) أن يعود الغريب إلى وطنه , و قلت , الوطن الحقيقي هو الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , و من هاجر إلى الله , يعني هاجر إلى الوطن – من هاجر إلى الله , يعني هاجر إلى الوطن – يعني كانت هجرته إلى الوطن , و الذي يهاجر إلى الله إلى أين يهاجر ؟ يهاجر إلى وجهه (أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ) الذي يريد أن يهاجر , يهاجر إلى وجه الله , و الوطن , الوطن الحقيقي الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , و الاستشهاد في سبيل الوطن , المعنى الأول في سبيل الإمام , لا أعني المعاني الأخرى غير صحيحة لكن المعنى الأول الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , سائر المعاني تأتي بعد ذلك , سائر المعاني ثانوية , المعنى الأصلي هو هنا (اللَّهُمَّ رُدَّ كُلَّ غَرِيبٍ , فَكَّ كُلَّ أَسِيرٍ) إنّما يُردُّ الغُرباء إلى أوطانهم بظهوره

يا غائباً عن أهل هـ أتعود أم تبقى إلى يوم المَعَادِ مُغَيَّباً
يا لبت غائبنا يعود لأهل هـ فنقول أهل أ بالحبيب و مرحباً

فالغُرباء إنّما يُردُّون إذا ظهر الإمام , و الأسرى إنّما يُفكّون إذا ظهر الإمام , و أي أسرى , و لآلِ مُحَمَّدٍ أسرى , و أسرى آلِ مُحَمَّدٍ لم يُفكَّ أسْرهم إلى اليوم حتى يظهر إمامنا صلوات الله و سلامه عليه , أسرى آلِ مُحَمَّدٍ إمامنا زين العابدين صلوات الله و سلامه عليه , لَمَّا اقتادوه من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام و الجامعة في عنقه الشريف صلوات الله و سلامه عليه , المنهال بن عمر , و الليلة ليلة الجمعة , الليلة ليلة الإمام الحجة صلوات الله و سلامه عليه , المنهال بن عمر يقول كنتُ أتمشى في أزقة دمشق في الأيام التي كانت فيها سبابا آل عليّ في الحربة , في تلكم الحربة التي لا تقي من حرّ و لا من قَرّ , يقول كنتُ أتمشى في أزقة دمشق وقت الظهيرة , و إذا بي أرى شخصاً يتوكأ على عصا , دققتُ النظر في هذا الشخص , من هو , إمامنا زين العابدين صلوات الله و سلامه عليه , لَمَّا اقتربتُ منه وجدته يتوكأ على عصاه من ضعفه و رجلاه كالخشبَيْنِ تشحبان دماً عبيطاً , قلتُ سيدي يا بن رسول الله ما الذي أخرجك ؟ قال يا منهال , إنّ الحربة التي نحن فيها لا تقينا من حرّ و لا من قَرّ , و والله لقد تقشّرتُ وجوه عمّاتي من حرارة الشمس , يا غيرة الله , سيدي يا بقیة الله

ج ٦

, و والله لقد تَقَشَّرَتْ وجوه عماتي من حرارة الشمس, يا منهال أنا أخرج سوية أروح بها عن ضعف بدني , يقول بينما أنا أكلّمه و هو يُكَلِّمُني و إذا بامرأة وقور خرحت من جهة الحربة , من شدة ضعفها مرة تقوم و أخرى تقع , أتدري من هي ؟ عقيلة آل أبي طالب صلوات الله عليها, مرة تقوم و مرة تقع و هي تُناديه, إلى أين يا جمانا, إلى أين يا رجانا.
الهي وقف السائلون ببابك , و لاذ الفقراء بجنابك , و وقفت سفينة المساكين على ساحل بحر جودك و كرمك , يرجون الجواز إلى ساحة رحمتك و نعمتك , الهي إن كنت لا ترحم في هذا الشهر الشريف إلا من اخلص لك في صيامه و قيامه فمن للمذنب المقصر إذا غرق في بحر ذنوبه و آثامه . الهي إن كنت لا ترحم إلا المطيعين فمن للعاصين , و إن كنت لا تقبل إلا من العاملين فمن للمقصرين . الهي ربح الصائمون , و فاز القائمون , و نجا المخلصون , و نحن عبيدك المذنبون , و نحن عبيدك المذنبون , و نحن عبيدك المذنبون , فارجحنا برحمتك , و اعتقنا من النار بعفوك , و اغفر لنا ذنوبنا , برحمتك يا ارحم الراحمين , مُحَمَّد و آله الطاهرين .

اللهم يا ربّ الحسين , بحقّ الحسين , اشفِ صدرَ الحسين بظهور الحجة عليه السلام

نسألکم الدعاء جميعا و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

ملاحظة :

- (1) الأفضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الأخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مسجلة من الوجه الأول و الثاني للكاسيت فيرجى مراعاة ذلك.

(و نسألکم الدعاء لتعجيل الفرج)